

المجلد: 05، العدد: 02 (2021)، ص 456-472

مصادر طب الحيوان في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط

Animal medicine sources in Maghreb countries during the medieval time

زهية بن عمارة

جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
benamarazakia191991@gmail.com

ملخص:	معلومات المقال
يهدف هذا البحث إلى معرفة مختلف المصادر المحتوية على المعلومات الطبية المختصة بالمجتمعات الحيوانية المتواجدة ببلاد المغرب خلال فترة العصور الوسطى، وذلك باكتشاف المجالات المختلفة للتدوين الإنساني ودوره في إبراز الجوانب المبيّنة للمسببات المؤدية إلى استقرار حالات العلة بأجسام هذه المجتمعات على اختلاف أجناسها وأنواعها وإبراز التغييرات السلبية الموضحة لها والبحث عن طرق التطبيب المعتمدة في تلك الحقبة الزمنية. نتائج البحث تمثلت في اكتشاف التنوع المتواجد في التدوين الإنساني حول مسببات العلة والطب العام والخاص بهذه المجتمعات، ومعرفة طرق ووسائل التطبيب المعتمدة بغرض إعادة الجسم إلى الحالة الطبيعية وإنقاذ هذه المجتمعات من مختلف المؤثرات السلبية.	تاريخ الارسال: 2021/05/30 تاريخ القبول: 2021/10/16 الكلمات المفتاحية: ✓ المصادر ✓ طب الحيوان ✓ بلاد المغرب ✓ العصر الوسيط
Abstract:	Article info
This research aim to Know the deferent sources that contained the medical information for the animal's societies in Maghreb countries during the medieval period, and discovers the deferent fields about the human notation and its role to show the causes of illness in animal's bodies and the deferent ways that used in their time. The results of this research is discover the diversity of the human notation about the causes of illness and the General and private medicine in this societies, and knowledge the methods and means of medicine for return the body to a normal state, and save the animals societies from the negative influences.	Received: 30/05/2021 Accepted: 16/10/2021 Key words: ✓ Sources ✓ Animal medicine ✓ Maghreb countries ✓ Medieval time

بلاد المغرب على اتساعها شملت مجتمعات مختلفة في الشكل والقدرات وطرق الحياة ومتنوعة بتنوع الأجناس والأنواع والمشتمة عند المجتمعات الحيوانية بالعديد من التفاصيل التي انفردت المؤلفات التاريخية على اختلاف مجالاتها في عرضها وتقصيها بغرض تطبيق أهداف الإشكالية المرتكزة على إبراز دور المصادر المختلفة في تدوين واكتشاف المعلومات الطبية المختصة بالمجتمعات الحيوانية ببلاد المغرب خلال فترة العصور الوسطى والتي بُنيت على أسس فرضية تمثل أهمها في النقاط التالية:

- هل احتوت المؤلفات التاريخية في العصور الوسطى على معلومات خصت الجانب الصحي والجانب المرضي للمجتمعات الحيوانية المتواجدة ببلاد المغرب؟

- هل شهد مجال التدوين على المؤلفات المغربية بأنواعها أم تعدى إلى مؤلفات أخرى خارجة عنها؟

- هل اعتمد الطبيب الإنساني على الطب العام الخارجي أم تعدى ليشمل الطب الدقيق المختص؟

- هل ساهم التدوين الإنساني في إنقاذ حياة المجتمعات الحيوانية أم فشل في تحقيق ذلك؟

يهدف البحث إلى إبراز دور المعلومات الواردة في مختلف المصادر المغربية والمشرقية على تدوين الطب الخاص بالمجتمعات الحيوانية، وإبراز تنوعه ومساهمته في استرجاع الحالة الطبيعية السليمة.

1. المسببات المؤدية إلى التغييرات السلبية حسب المصادر

1.1. المسببات الطبيعية

حدث في بلاد المغرب¹ عبر الفترات الزمنية المختلفة والمُنْتَمِيَّة إلى حقبة العصور الوسطى العديد من الظواهر الطبيعية المُتَبَايِنَة في الموقع ودرجة التأثير والخطورة، الخطورة التي انعكست على مختلف المجتمعات القاطنة عليها لتشمل المجتمعات الحيوانية على اختلافها سواء تعلق الأمر بأخطارها أثناء حدوثها أو انعكاساتها الناتجة عنها.

1.1.1. ظاهرة الزلزال

اعتبرت ظاهرة الزلازل من مسببات حدوث العلة لدى المجتمعات الحيوانية نظرا لانعكاساتها السلبية عليها حسب حديث ابن حوقل (توفي 367هـ/711م) عن الزلزلة العظيمة التي استمر تواجدها شهرا في المغرب والمهدية سنة 371هـ/982م²، وحديث ابن عَدَارَى (توفي 721هـ/1321م) عن الزلازل العظيمة بالمغرب استمرت شهرا كاملا سنة 504هـ/1111م، والزلزلة العظيمة ببلاد المغرب سنة 651هـ/1253م³، والزلزلة التي لم يسمع الناس بمثلا سنة 267هـ/881م أدت إلى انحطاط الصخور والجبال وفرار الطيور من أوكارها وفراخها وماجَتْ في الهواء زَمَانًا إلى أن هدأت الزلزلة⁴.

2.1.1. ظاهرة السيل

ألحقت السيول أخطارا متباينة بين حالات الكسور وفقدان الأعضاء وهلاك الأجسام حسب ما أُسْتُشِفَ من حديث ابن أبي زرع عن جرف الديار والأشجار والحيوانات نتيجة لها في قوله: "...فهبط السيل من أعلى

الجبل دفعة واحدة فهدم جميع ما كان مَبْنِيًّا وَحَمَلَ ذلك كله حتى رَمَى به في النهر وَهَكَأَ فيه خلق كثير"، وحديثه عن السيل العظيم بالمَغْرِبِ سنة 624هـ/1227م، والأمطار العظيمة ببلاد المغرب سنة 723هـ/1323م، والسيول الطاغية بفاس سنة 724هـ/1324م التي حملت الناس والدواب والبقر والغنم والخيول والإبل وأهلكت الكروم والأشجار، وتكرارها بفاس سنة 725هـ/1325م⁵.

3.1.1. ظاهرة الإعصار

أدت ظاهرة الإعصار في بعض الحالات إلى إلحاق أضرار عديدة بالمجتمعات الحيوانية القريبة منها حسب ما اتضح من حديث ابن أبي زرع عن: "وَقُوعَ ظاهرة الرِّعد والْبَرْقِ الشَّدِيدَيْنِ والأَعاصير في المغرب وإفريقية وفاس سنة 307هـ/920م وما رافقها من رياح شديدة قلعت المباني واقتلعت الأشجار، والرياح الشديدة التي قلعت المباني بالمغرب سنة 342هـ/954م، والسَّحَابُ وَالظُّلُمَةُ الشَّدِيدَةُ والإعصار العظيم وما رافقهما من غَيْمٍ عَظِيمٍ ورياح شديدة وَبَرْدٍ كَبِيرٍ وَسَيُولٌ طَاطِغِيَّةٌ بِفَاسٍ سنة 724هـ/1324م حملت الناس والدواب والبقر والخيول والغنم والإبل وإهلاك الكروم والأشجار"⁶.

4.1.1. ظاهرة الثلج

هددت ظاهرة الثلج حياة المجتمعات الحيوانية بالهلاك حسب حديث صاحب الاستبصار (6هـ/12م) عن التهديد الذي شكله برد مدينة قسنطينة وتبسا لها، بقوله: "مِنْطَقَةُ قَسَنْطِينَةَ الشَّدِيدَةُ الْبَرْدِ وَالثَّلُوجِ والكثيرة الرِّيحِ لِعُلُوِّهَا وارتفاعها، وَشِدَّةُ بَرْدِ الْجَبَلِ وَثَلْجُهُ، وقوله: مدينة تَبَسَا احتوت أقباء يدخلها الأشخاص بدوابهم في أيام الشتاء يَسْعُ الْقَبْوُ مِنْهَا أَلْفِي دَابَّةٍ أَوْ أَكْثَرُ"⁷.

ووضح الوزان الفساد الذي ألحقته الرياح الشمالية والثلج بالمجتمعات الحيوانية المتواجدة في أراضي الشاوية وهلاك قوافل بأكملها بما اشتملت عليه من أنواع وأجناس حيوانية مرافقة لها بقوله: "عندما يسقط الثلج تهب ريح خطيرة من الشمال فتقتل كل الحيوانات التي تصيبها وأحيانا تمر القوافل على هذه المناطق فيفاجئهم الثلج ولا يبقى على أحد ذلك أن الثلج إذا بدأ في التساقط ليلا أصبحت القافلة مدفونة تحته". وذكر بعض الطرق المتبعة من طرف الإنسان للحفاظ عليها بقوله: "...اكتشفنا عددا من الرعاة في كهف كانوا قد أدخلوا نعاجهم فيه بغناء كبير وأوقدوا نارا جلسوا حولها... وفي اليوم الثالث انقطع فقام الرعاة يزيلون الثلج الذي أغلق مدخل الكهف نهائيا ثم ذهبوا بنا إلى المكان الذي خبئوا فيه خيولنا وهي كهوف أخرى تركوا فيها كثيرا من العلف لدوابنا فوجدناها على أحسن ما يرام... وبعد أن وصلنا إلى قرية من قرى فاس أكدوا لنا بأن القافلة قد اختنقت بالثلج، وأن جبل سَكْسِيوَة لا يزول الثلج عنه أبدا وفيه من الكهوف العريضة العميقة التي جرت العادة أن تُخْبَأَ فيها الماشية ثلاثة أشهر من كل سنة"⁸.

5.1.1. ظاهرة الجفاف

ألحقت ظاهرة الجفاف أشكالا مختلفة من العلة تنوعت بين الجفاف والجوع والعطش أحيانا والهلاك أحيانا أخرى نظرا لدرجات الحرارة المرتفعة ببعض المناطق خاصة سجلماصة المعروفة بالحرِّ والقيظ⁹، ونتيجة القحط

الواقع بإفريقية¹⁰، والسنة الجذباء التي عرفت بها بلاد المغرب¹¹، و"النوء العظيم والقحط الذي تعرضت له القيروان من بلاد المغرب، والشدة العظيمة سنة 390هـ/1000م وتكرارها سنة 395هـ/1005م، والقحط الشديد الذي عرفته تونس سنة 395هـ/1005م حتى خلت البوادي وأكثر الحواضر وخلت الأسواق والمساجد وغدمت البهائم"¹².

6.1.1. ظاهرة الحريق

ألحقت ظاهرة الحريق أخطارا شديدة بالمجتمعات الحيوانية القريبة منها سواء تعلق الأمر بإلحاق حروق متفاوتة في الخطورة أو الهلاك إثر إحراق الناس لأسواق مدينة تيهرت سنة 305هـ/918م¹³ أو احتراق سوق العطارين بفاس¹⁴ بما اشتملت عليه من سلع ومنتجات حيوانية، واشتعال نار بطرابلس سنة 740هـ/1340م نتيجة سقوط نجم اتصل نوره بالأرض وأحدث رعدا عظيما¹⁵، وحديث البرزلي (توفي 841هـ/1438م) عن عملية الكي وتنوع استخدامها بين الوشم والوسم في قوله: "الحبس وجد في فخذ الفرس مما يدل على الجهة القائمة به سواء تعلق الأمر بشراء فرس مرشوم في فخذه أو بيع فرس حبسا ووسمه الأمر الذي قد يلحق به الخطر بها إذا لم تكن الجهة الممارسة له على دراية كافية بعملية الكي"¹⁶.

2.1. المسببات الإنسانية

1.2.1. استخدام العنف

اعتبر العنف من الممارسات الإنسانية السيئة التي ألحقت بالمجتمعات الحيوانية على اختلافها أخطارا هددت بقاءها وأدت ببعضها إلى الهلاك حسب حديث ابن بطوطة (توفي 779هـ/1377م): "عن مولاه أيده الله أنه كان قتل الأسد عليه أهون من قتل الشاة على الأسد... وفرت أمامه الفرسان والرجال وبرز إليه مولانا وطعنه برمح بين عينيه طعنة خر بها صريعا"، وحديثه عن تاجر تلمساني كان في قافلة فأدخل يده في جحر ضب ليخرجه فوجد مكانه حية فأخذها بيده فسلعته في سبابة اليمنى وأصابه وجع شديد فكوى يده، وازداد ألمه عشي النهار فنحر جملا وأدخل يده في كرشه وتركها كذلك ليلة ثم تناثر لحم إصبعه فقطعها من الأصل، وأخبرنا أهل مسوفة أن تلك الحية كانت قد شربت ماء قبل أسعه ولو لم تفعل لقتلته"¹⁷.

2.2.1. استخدام الحيوان في التنقل

اعتمد الإنسان على المجتمعات الحيوانية المختلفة في تنقلاته القريبة والبعيدة خاصة تلك التي استمرت أشهرا مما أدى في بعض الحالات إلى إلحاق الأذى بها والهلاك أحيانا أخرى، وهذا ما اتضح من تنقل العرب ودخولهم إفريقية، ونزول التجار بمنطقة أغمات للتجهيز ودخول الصحراء¹⁸ والقاصدين غانة من جميع البلاد المحيطة بها ومن سائر بلاد المغرب الأقصى¹⁹، والداخلين لبلاد السودان بالقوافل الداخلة والخارجة على تارودانت السوس، وتجار المغرب والصحراء والمشرق ووارجلان المتوجهين إلى غانة

3.2.1. استخدام الحيوان في السحر

اعتبر السحر من أخطر الممارسات المطبقة على المجتمعات الحيوانية في بلاد المغرب حسب حديث صاحب الاستبصار عن رجل رجل من المشرق ودخل تامسنا من بلاد المغرب فوجدهم جُهالا وذلك سنة 123هـ/741م ورأى من السحر كثيرا، وذكر مدينة قَصْر صَنْهَاجَة المحتوية على كاهنة ساحرة عرفت باسم "حاميم" ورجل من السحرة المهرة عرف باسم "ابن كُسيّة" الذي كان أهل موضعه يسمعون منه ولا يعصونه طرفة عين، فإن عصاه أحد منهم حَوَّلَ كَسَاهُ الذي يَلْتَحِفُ به فيُصاب ذاك الإنسان في ماله أو بدنه أو كلاهما صائبة أو عاهة وإن كانوا جماعة أصابهم مثل ذلك، وذكر أيضا مدينة تَبَسَا التي صُوِّرَ خارج حيطانها هيكل من صُوِّرَ جميع الحيوانات بأغرب ما يكون من التصوير وقيل بأنها كلها طلاس²¹.

2. التغيرات الصحية من منظور المصادر

تمكن الإنسان من تدوين التغيرات المختلفة الحاصلة على أجسام المجتمعات الحيوانية القريبة منه من خلال الملاحظة، الملاحظة التي أكد عليها ابن القيم الجوزية (توفي-751هـ/1350م) بقوله: "إن الطب أخذ كثيره من الحيوانات البهيمية كما هو الأمر عند مشاهدة السنانير إذا أكلت ذوات السموم حيث تعد إلى السراج فتلغ في الزيت تتداوى به، والحيات إذا خرجت من باطن الأرض...وقد غَشِيَتْ أَبصارها تأتي إلى ورق الرازيانج فتُمَرُّ عيونها عليها، والطيور يَحْتَقِنُ بماء البحر عند انحباس طبعه، والشاة ترعى الأعشاب البرية الحارة كالشيخ والقيصوم التي تُكسب مزاجا ألطف في اللبن واللحم"²².

وهذا ما استخلص من حديث العمري عن حجر السامور الذي يقطع جميع الأحجار دون إصدار الصوت حسب قصة سليمان بن داود عليهما السلام عندما أراد بناء بيت المقدس فأمر الشياطين بقلع الأحجار فشكا الناس من صوت قطع الأحجار، فجمع سليمان عليه السلام علماء بني إسرائيل وعفاريت الجن وقال: "هل تعلمون شيئا يقطع الأحجار من دون صوت؟ قالوا: يا نبي الله مالنا به من علم، غير أن ماردا لم يدخل في طاعتك يقال له صخر ربما يكون عنده علم فأمر سليمان بإحضاره...فقال: يا نبي الله أعلم حجرا له هذه الخاصية، ولكن لا أعرف مكانه وعندي حيلة في تحصيله، عَلَيَّ بعش العقاب وبيضها، فجاء بها العفاريت سريعا وغطى عش العقاب بالجام، وعندما ضربته بمخلبها فلم يعمل فيه شيء فطارت وعادت إليه من الغد وفي منقارها حجر فألقته على الجام فانقسم نصفين من غير صوت، وقال سليمان لأنثى العقاب: أخبريني عن الموضع الذي حملت منه هذا الحجر؟ فقالت: يا نبي الله من جبل بالمغرب يسمى السامور، فبعث سليمان الجن فحملوا إليه مقدار كفايته فكان بعد ذلك يقطع الأحجار ولا يُسمع لها صوت"²³.

1.2. المصادر المغربية

أوردت المصادر المغربية معلومات عن ملاحظة الإنسان للتغيرات الحاصلة على المجتمعات الحيوانية أثناء تنقلها بين التعب والعطش، وهذا ما وضعه الدرجيني في قوله: "قال أحدهم لأمير المؤمنين إن فرسي قد

أتعبه السفر فلو أمرت لنا يا أمير المؤمنين بخيل، فأمر الإمام عليه السلام بدخول بيت الدواب لاختيار خيل مناسبة، فدخل واختار فرسا²⁴. وحديث ابن خلدون (توفي 808هـ/1406م) عن من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها حيث تدعوهم الضرورة ولا بُدَّ إلى البدو لأنه مُتَسَّع لما يحتوي من الحواضر من المزارع و المسارح للحيوان²⁵.

2.2. المصادر المشرقية

ذكرت المصادر المشرقية التي أتيح لها التواجد ببلاد المغرب معلومات عن التغيرات اللاحقة بأجسام المجتمعات الحيوانية الخاصة بالصدقة على حد قول البخاري (توفي 256هـ/870م): "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي أُمَامَةُ أَنَّ أَنَسًا رضي الله عنه، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه كَتَبَ لَهُ أَمْرُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم: لَا يُخْرَجُ فِي الصَّدَقَةِ هَرَمَةٌ وَلَا ذَاتُ غَوَارٍ"²⁶. وحديث الجاحظ²⁷ (توفي 255هـ/869م) عن التغيرات اللاحقة ببعض الأعضاء بفعل تأثير الزمن بقوله: "يُعرف فتاء الكلب وهَرَمُهُ بالأسنان، فإذا كانت سوداء كانت دليلا على كِبَرِهِ وإذا كانت بيضاء دلَّت على الفتاء والحداثة، وأسنان الذكر أكثر في الدلالة على ذلك"²⁸.

3. أقسام طب الحيوان

أورد ابن خلدون أن صناعة الطب ضرورية لما عُرف من فائدتها كون ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء، وأنه يزداد احتياجها في الحواضر والأمصار دون البادية²⁹، وذكر ابن القيم الجوزية أن طب الأبدان نوعان هما طب فُطر عليه الحيوان كطب الجوع والعطش والبرد والتعب بفعل أضرارها وما يزيلها، ونوع احتاج إلى فكر وتأمل كدفع الأمراض المتشابهة الحادثة في المزاج بحيث يخرج بها إلى الاعتدال إما إلى حرارة أو برودة أو يبوسة أو رطوبة، وهي على أنواع منها الأمراض الكيفية التي تكون بعد زوال المواد التي أوجدتها ويبقى أثرها، والأمراض الآلية التي تُخرج العضو عن هيئته إما في شكل أو في تجويف أو في خشونة وغيره، والأمراض العامة التي تعم الأمراض المتشابهة والآلية فالأمراض المتشابهة هي التي تخرج من المزاج إلى الاعتدال وهي على ثمانية أضرب منها أربعة بسيطة هي البارد والحر والرطب واليابس وأربعة مركبة هي الحر والرطب والبارد واليابس، كما ذكر أن للبدن ثلاث أحوال هي الحال الطبيعية والحال الخارجة عن الطبيعة والحال المتوسطة بين الأمرين، وأضاف أن استخدام الدواء يكون على ثلاثة أشكال هي الأدوية الطبيعية والأدوية الإلهية والأدوية المركبة بين الأمرين³⁰.

ووضح ابن رشد (توفي 450هـ/1058م) أن استخدام الأدوية يكون بعد المعرفة الصحيحة بطبيعة كل عضو بين حالة الصحة وما يخالفه في حالة السقم لضمان التطبيب الجيد لحالة العلة، وذكر بعض العلامات الدالة على صحة الأعضاء بقوله عن العلامات الدالة على اعتدال القلب وهي هيئة الأعضاء وأمزجتها كاعتدال الصدر أي أن يكون مُتوسّطا بين العِظَم والصَّغَر واعتدال الملمس والتناسُب بين الأعضاء الخارجية

للجسم، وعدم اختلاف حالات النبض بين العظيم والصغير والسريع والبطيء واعتدال التنفس، ومن العلامات الدالة على اعتدال الدماغ الاعتدال بين النوم واليقظة والكسل وسُرعة الحركة وغيره، والاستدلال على اعتدال الكبد يكون بالعلامات الدالة على اللَّمس واعتدال الشكل بين الكبر والصَّغر وغيره، ومن علامات اعتدال الرئة اعتدال التنفس بين العِظَم والصِّغَر، وعلامات اعتدال المعدة يكون باعتدال شهوتها للغذاء واحتوائها جُلَّ الأغذية ما لم تخرج عن الطبيعة كما تكون معتدلة بين العِظَم والصِّغَر، ومن علامات اعتدال مزاج الأنثيين التوسط في شهوة الجماع وغيره، وما يساعد على معرفة علامات حدوث الأمراض في البدن الاستدلال المادي والغير المادي وما يظهر من البدن من القيء والبراز والبول والأوجاع و النَّبْض³¹.

وقد لجأ الإنسان إلى تطبيب بعض حالات العلة المستقرة بأجسام المجتمعات الحيوانية بنفسه نظرا لاهتمامه الكبير بعدم إلحاق الضرر بها فعُرف بأسماء منها المعالج والبيطري والناجح، ومن ممارساته تطبيبه لرحم البعير بإدخال يده في رحمها وقطع ما هناك من ضرر ومعالجته وتطبيب الدواب بعد توليدها، كما لجأ إلى توفير أماكن مخصصة لضمان الراحة والحماية فأنشأ القَمَأ والحَصِيرَة والعَرِيش، وقد تنوعت ممارساته بين الطَّلَسَم والدواء والنبات ومنتجات الحيوان والجراحة والسَّلَخ والطين والنفط والجبائر بهدف إنقاذ حياتها والحفاظ على صحتها³².

حيث ذكر ابن خلدون بعض الممارسات الإنسانية التي كانت سائدة في تلك الفترة والمستخدمه بغرض حفظ الصحة لدى المجتمعات الحيوانية المُدَجَّنَة لتشمل تغيير أماكن العيش في حالة تواجد تأثيرات طبيعية سلبية أو بغرض الحصول على الغذاء والماء المناسب، بقوله: "التَّقْلُبُ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ فِرَارًا مِنْ أذى البَرْدِ إِلَى دِفْءِ الهَوَاءِ وَطَلَبِ النِّتَاجِ إِذِ الْإِبِلُ أَصْعَبُ الْحَيَوَانَاتِ فِصَالًا وَمَخَاضًا وَأَحْوَجُهَا فِي ذَلِكَ إِلَى الدِّفْءِ"، وقوله: "مَنْ كَانَ فِي مَعَاشِهِ مَعْتَمِدًا عَلَى السَّائِمَةِ مِثْلَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ فَهَمُّ ظُغْنٍ فِي الْغَالِبِ لِارْتِيَادِ الْمَسَارِحِ وَالْمِيَاهِ لِحَيَوَانَاتِهِمْ وَيَسْمُونَ الشَّاوِيَةَ وَمَعْنَاهُ الْقَائِمُونَ عَلَى الشَّاءِ وَالْبَقَرِ، وَهُمْ لَا يَبْعُدُونَ عَنِ الْقَفْرِ لِفَقْدَانِ الْمَسَارِحِ الطَّيْبَةِ وَهَوْلَاءِ مِثْلِ الْبَرْبَرِ، أَمَّا مَنْ مَعَاشُهُمْ عَلَى الْإِبِلِ فَهَمُّ أَكْثَرُ ضَعْفًا وَالبُعْدُ فِي الْقَفْرِ مَجَالٌ لَهُمْ لِأَنَّ الْمَسَارِحَ وَالتَّلَالَ وَنَبَاتَاتِهَا وَشَجَرَهَا لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْإِبِلُ فِي قَوَامِ حَيَاتِهَا عَنْ مِرَاعِي الشَّجَرِ بِالْقَفْرِ وَوُرُودِ مِيَاهِهِ"³³.

وتحدث العمري عن أنواع مختلفة من الأحجار المستخدمة في تطبيب حالات مختلفة من العلة أبرزها الطين النافع لدبر الدواب بعد سَحَقِهِ وَنَثَرِهِ عَلَيْهَا، وحجر خُرْسُوسُون إِذَا سُحِقَ مِنْهُ وَسُقِيَ بِمِرَارَةِ دِيكَ وَلُطِخَ بِهِ الْعِظَمُ الْمُعَوَّجُ رَدَّهُ إِلَى الْإِسْتَوَاءِ، وَمِنْهَا الْخَزْفُ وَخَاصَّةً خَزْفُ التَّنُورِ الَّذِي يَقَعُ فِي الْمِرَاهِمِ النَّافِعَةُ لِلْجَرَاحَاتِ وَإِدْمَالِهَا وَإِذَا خُلِطَ بِخَلٍّ وَلُطِخَ نَفَعَ مِنَ الْحِكَةِ وَالبَثُورِ وَالْقُرُوحِ الْمَتْرَهْلَةِ وَانْسِلَاحِ الْجِلْدِ، وحجر خوص بناحية المغرب وهو حجر أصفر مُشَرَّبٌ بَبَيَاضٍ وَخُضْرَةٍ يَنْفَعُ مِنْ لَسَعِ الْهُوَامِ وَجَمِيعِ ذَوَاتِ السُّمُومِ، وحجر الزرنِخِ النَّافِعُ لِلْجَرَاحَاتِ وَالْجَرَبِ إِذَا جُعِلَ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّيْتِ فَإِنَّهُ يَقْتُلُ الْقَمْلَ وَإِذَا جُعِلَ مَعَ دَهْنِ الْوَرْدِ نَفَعَ الْبَوَاسِيرَ

وإذا خُلط بالشحم نفع الجراحات وقروح الأنف وسائر القروح، ومنها الكّلس النافع لقطع نزف الدم الناتج عن الجراحة وإذا نُقِعَ بالماء مرارا نفع من حرق النار، ومنها الحجر المُسهِّل للولادة وهو حجر إذا حُرِّك سُمِعَ داخله صوت حجر آخر، وقد عُرفت خاصيته في تسهيل الولادة من النّسر لأنه إذا جاء وقت بيض الأنثى تَبْلُغ الموت مع غاية العُسْر وربما ماتت فيذهب النسر الذكر إلى ذلك الجبل ويأخذ من ذلك الحجر ويجعله تحتها فتسهّل ولادتها وكذلك يفعل تأثيره على كل حيوان³⁴.

وأضاف جان شارل أن الممارسات التجريبية للسحرة والمعرفة التي تراكمت على مدار أجيال متعاقبة لا يمكن تجاهلها حتى لو كان هؤلاء السحرة لا يعرفون مبادئ الطب التجريبي لكنهم أثبتوا على مدى القرون أن الأسباب نفسها تؤدي غالبا إلى نفس النتائج، فالكسر الخطير بالعظام يمكن أن يؤدي إلى موت المصاب كما يمكن أن تؤدي بعض النباتات إلى النوم والشفاء من الآلام وتعجيل الشفاء أو التسميم والقتل الأمر الذي دفع بالسحرة منذ آلاف السنين إلى اتباع وسائل بسيطة مثل تثبيت الكسور بواسطة فروع الأشجار أو الطين منعاً للآلَم وتعجيلاً للشفاء كما استخدموا الرماد مع القطن وعصارة بعض النباتات في سد الجروح النازفة أو خياطتها بواسطة الخيط والإبرة واستخراج الأجسام الغريبة كراس السهم بواسطة الملاقط³⁵.

واحتوت المصادر على مختلف المجهودات التي قامت المجتمعات الحيوانية باتباعها بغرض استعادة الحالة الطبيعية السليمة لأجسامها، والتي تنوعت بين طرق حياتية وفرت الحماية من الخطر الذي اعتبرت العلة جزءا مهما منه، واختيار أماكن لاستقرارها على حد قول العمري عن بناء الثعلب لوجاره حماية لأبنائه من أخطار الحيوانات الأخرى، وذكر الوسائل المتبعة من طرف النسر لحماية بيضه بوضع ورق الدّلف عليه وإبعاد خطر الخفاش عنه³⁶، وذكر ابن منظور طريقة اتبعتها بعض الطيور في بناء أعشاشها باستخدام حطام العيدان وغيرها لوضع البيض فيه وتوفير الحماية من البرد، كما ذكر ممارسات اتبعتها بعضها بغرض التخلي عن أعضاء استقرت بها العلة حتى لا تنتقل إلى باقي الجسم أو لا تعرقل حركتها وتمنع الخطر المحدق بها كما هو شأن عملية الخَزّ التي مارستها بعض الدواب نتيجة تعرض المرفق لديها للعلة³⁷، وقيام أنثى العقاب إذا هرمت وثقل جناحاها وأظلم بصرها بالتماس غدير فإذا وجدته حلّقت طائرة في الهواء ثم وقعت من حالق في ذلك الغدير فتنغمس فيه مرارا حتى يَصِحَّ جسمها ويقوى بصرها ويعود ريشها إلى حالته الأولى أو تصعد إلى الهواء إلى أن تحرق ريشها من الحرارة ثم تنزل وتغوص في عين ماء وتخرج منها طرية وقد ذهب ضعف الهرم منها، وهي متى ثَقُلَتْ على النّهُوض أو عَمِيَتْ حملتها الفراخ على ظهورها ونقلوها من مكان إلى مكان من أجل الصيد وتَعَوُّلها على ذلك إلى أن تموت، وإذا اشتكت من كَبْدِها رفعت الارانب والثعالب في الهواء وأكلت أكبادها فتبرأ وهي تأكل الحيات إلا رؤوسها والطيور إلا قلوبها وأكباد الطير والسباع الصغار كالثعلب بالإضافة إلى الأرانب لأنها تتفعلها من أمراضها³⁸.

وذكر العمري معلومات عن اعتماد بعضها على المعادن في حديثه عن استخدام أنثى الدّب عند اقتراب ولادتها لحجر أصابته الصاعقة لتجلس عليه حتى تسهل ولادتها، وإن لم تجده وقفت بمحاذاة الدب الأصغر

حتى تسهل ولادتها عليها³⁹، وذكر أيضا طرق التطبيب المرتكزة على التغذية أجسام حيوانية بكاملها في حديثه عن اللبوة المتغذية على الحرباء والخنزير المتغذي على السرطان والفيل المتغذي على الحية، وذكر تغذي بعضها الآخر على أعضاء مخصوصة من أجسام الحيوانات كما هو حال طائر الحدأة المتغذي على ريشه والعصفور المتغذي على لحم الحمار والعقاب المتغذي على أكباد الطيور والنسر المتغذي على لحم الإنسان ومرارته والهدهد المتغذي على العقاب والشاهين المتغذي على الدرايح في بقوله: "إن اللبوة إذا ولدت الشبل انخدش رَحْمُها من بَرَاثِن الشبل المولود فتمرض مرضا شديدا فيأتيها اللَّيْث بالحرباء فإذا أكلتها برأت من مرضها، والخنزير إذا مرض أكل السرطان فيزول عنه مرضه، والفيل إذا مرض أكل الحية فيبرأ من مرضه، والحدأة-طائر بالمغرب-إذا مرض أكل من ريشه فيبرأ من علته، والعصفور إذا مرض أكل لحم الحمار فيبرأ، والعقاب إذا مرض أكل أكباد الطير والسباع الصغار كالأرانب والثعالب لأنها تنفعه من أمراضه وإذا مرض النَّسْرُ أكل لحم الإنسان وإذا أَظْلَمَ بَصَرُهُ مَسَحَ عَيْنِيهِ بِمَرارة الإنسان، ولهذا فإنه يتبع العساكر طمعا في لحم القتلى كما يتبع الأنعام زمن حملها طمعا فيما أَلْقَتْ به بعد الولادة، وإذا مرض الهدهد أكل العقاب الجبلي فيزول مرضه، والشاهين إذا مرض أكل الدَّرَاجِج فيزول مرضه"⁴⁰.

ووضح أن بعض الحيوانات أظهرت ردود أفعال كشفت عن ذكاءها في حديثه عن الثعلب الذي يجمع بعض نبات العَصَل ويرميه حول وجاره وينام هائئا من الذئب لأنه إذا وقع عليه مات، وإذا جاع رمى بنفسه في الصحراء مُتَتَاوما ويمدُّ رجليه ويديه وينفخ في بطنه حتى يظن الطير أنه ميت منذ أيام فيجتمع عليه ليأكله فيثبُّ عليه ويصيد منه، وإذا تَوَلَّدَ فيه القمل وتأذى منه أخذ ليفة أو صُوفَة ونزل في الماء قليلا حتى يجتمع القمل في تلك الصوفة فيرميها ويستريح من القمل⁴¹. وقد اتضح أن الطب الممارس من طرف الإنسان على المجتمعات الحيوانية قد اشتمل على عدة أقسام تنوعت بين القسم النباتي والقسم الحيواني والقسم المعدني.

1.3. القسم النباتي

اعتبر النبات من المجتمعات المتواجدة ببلاد المغرب على اختلاف أنواعها وأشكالها ما دفع بغيرها من المجتمعات إلى الاعتماد عليها خاصة مجتمع الإنسان والحيوان على حسب حديث الدرجيني عن استخدام الإنسان للقطران على أنواعه بين الهناء المتخذ من العرعر والمُهل الشبيه بالزيت لخفته كطلاء بواسطة الرُّنْدَة -الخرقة التي يستخدمها أثناء عملية الدهن والقشة- بغرض تطبيب حالات العلة المستقرة على المستوى الخارجي للجسم، بقوله: "رجل مرَّ بأعرابي هنا بغيره بالقطران فَهَرَجَ البعير"⁴².

ووضح صاحب الاستبصار قدرة الإنسان على ملاحظة تأثيرات النباتات المقدمة كغذاء على أجسام المجتمعات الحيوانية واعتماده كعنصر أساسي في تركيب بعض العقاقير الطبية خلال حديثه عن جبل ببلاد المغرب احتوى أعتق الخيول لصبرها وخدمتها وأجود لحوم الأغنام والأبقار وأسمنها نظرا لانعكاس فوائد نباتات تلك المنطقة على أجسامها، وأنواع نباتية أخرى استخدمت في صناعة العقاقير والعلاجات الرفيعة، وذكر استخداماته المتنوعة في تقديمه كعلف للدواب بغرض تحسين البنية الجسمية لها كما فعل أهل الجريد بكلابهم

عند علفها بالتمر بغرض تسمينها وأكلها⁴³ كما هو شأن الضفّر وهو شعير يُحبس ثم يُبلّ بالماء ويُقدّم للدواب، ونبات الذّان النابت في فصل الشتاء والمستخدم في صناعة الأدوية والعقاقير الطبية⁴⁴.

واستخدام النبات في التطبيب شمل عدة أشكال أبرزها الاستخدام بشكل منفرد دون إجراء إضافات عليه كما هو حال نبات السّويداء المعروف بالشونير والمستخدم في تطبيب حالات عديدة من الأدوية⁴⁵، والشكل الثاني المركب المضاف إليه بعض التراكيب لضمان التطبيب المتكامل كما هو حال نبات الأرار وهو غصن من الشوك أو القتاد تُضرب به الأرض حتى تلين أطرافه ثم يخلط بمواد أخرى كالملح⁴⁶ ويستخدم في تطبيب عضو الرحم عند الناقة وعملية تضمير الخيل حيث يُقدّم كعلفٍ للدواب حتى تَسمن عليه ثم تُردّ بعد ذلك إلى القوت، وأحيانا تستغرق هذه العملية فترة زمنية تقدّر بأربعين يوما⁴⁷.

2.3. القسم الحيواني

اعتبر استخدام المنتجات الحيوانية على اختلافها من الطرق المعتمدة من طرف الإنسان في تطبيب حالات العلة المستقرة بأجسام المجتمعات الحيوانية حسب ما وضعه حديث ابن منظور عن تراكيب احتوت أخلطا شملت منتجات حيوانية تنوعت بين ألبان الإبل وأبوالها بغرض تحقيق التوافق بين حالة العلة والتطبيب المناسب لها، والمشملة في بعض حالاتها على طرق تمثلت في حبس المكونات عن الشمس زمنا محددا ثم استخدامها في تطبيب الإبل الجربى وعلّة الداء التي اختلف تواجدها من جسم لآخر حيث أحدثت تغييرا في لون الجلد إلى الأبيض والشعر إلى الأحمر عند بعضها، وتشكل غدد من اللحم والجلد في شفاة الإبل والقروح في مَشافرها و قوائمها وأورام بين الجلد واللحم لديها، واستخدمت أيضا في تطبيب داء السَّقَف المتواجد في أفواه الإبل والغنم حيث نتج عنه تَمَعَط الأنف وشعر العينين، وداء العَرَن المستقر على مستوى جلد الدابة على شكل قروح في القوائم والأنف، واستخدمت كذلك ألبان بعض الدواب في تضمير الفرس بسقايته اللبن خلال الظروف الطبيعية الصعبة من جذب وقلة العلف لتقوم مقامه⁴⁸، وتحدث أيضا عن تسمين الإبل باستخدام عَتِيق الشَحْم وعلف الخيل هَشِيم السَّمَك عند عَوَز العلف وإطعامها اللَّحْم عند عَوَز الشَّجَر⁴⁹.

وصناعة الأدوات الخاصة بالحياة اليومية للمجتمعات الحيوانية شملت أدوات خاصة بتقديم الغذاء والماء وأدوات خاصة بالركوب سواء في الأيام العادية أو في المناسبات والأفراح والتنقل عبر مسافات قصيرة أو طويلة لتسهيل على الحيوانات التنقل وتخفف عليها ثقل الأحمال حسب قول ابن حوقل عن الأحمال المجهزة من المغرب إلى المشرق وتنوعها بين العنبر والحريز والحديد والرصاص والرَّثَبِق⁵⁰، وحديث الإدريسي عن تنقل قبائل من البربر التجار من بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال والنحاس الأحمر والألبسة والثياب والصوف والعمائم وغيرها، والقوافل والسفن الحجازية المحمّلة بالبضائع إلى المهدية، وحديثه عن منطقة وارقلان المعروفة بالتجار المتنقلين عبرها إلى غانة وغيرها لاستخراج الذهب⁵¹، وحديث صاحب الاستبصار عما تحمله المراكب من إفريقية إلى بلاد الروم وأهل صقلية وإيطاليا⁵²، وحديث اليعقوبي عن منطقة مجانة واحتوائها على المعادن المختلفة بين الفضة والحديد والرصاص⁵³.

كما اندرجت المعادن في صناعة منشآت ساهمت في توفير الحماية من الظواهر الطبيعية المختلفة أو الحيوانات المفترسة وغيرها⁵⁴ حسب حديث المقدسي عن دُور مدينة قابس المبنية من الحجارة والآجر⁵⁵، وحديث بقوله: قال أحدهم لأمير المؤمنين إن فرسي قد أتعبه السفر فلو أمرت لنا يا أمير المؤمنين بخيل، فأمر الإمام عليه السلام بدخول بيت الدواب لاختيار خيل مناسبة، فدخل واختار فرسا⁵⁶.

واستخدمت كذلك في صناعة الأدوات الخاصة بالعمليات التطبيقية المختلفة التي كان أبرزها الأدوات الخاصة بعملية الكي على اختلاف ممارساتها⁵⁷ أدواتها و مسمياتها⁵⁸، ووضح ابن القيم اعتماد الطبيب على كي عضو العرق بعد قطعه حتى يَرَقَّ الدم من الجرح مخافة النزف والهلاك وكي من قُطعت يده أو رجله، وأورد إمكانية نجاح أو فشل هذه العملية⁵⁹، كما أورد ابن منظور ارتباط أسماء بعض الحيوانات بطبيعة عملية الكي وموضعها في الجسم حيث عُرِفَت الإبل الموسومة في عضو العَضُدِ باسم العِضاد، وعرفت الموسومة بِحَلَقَةٍ في الفخذ أو الأذن باسم المُحَلَّق، وذكر استخدام الكي في تطبيق مختلف الأدوية بين البَجَر وهو كي الدواب في مواضع معينة من الجسم حتى تشفى، واستخدامه في تحوير عين الدابة أي كي المناطق المحيطة بها عند تعرضها للداء وسميت بذلك لأن موضع الكي يتغير لونه إلى الأبيض، وتطبيق أفخاذ الدواب وكي منطقة لَزَقِ الطحال بالجَنَبِ حتى يشفى، وكي المنطقة المحيطة بالعينين عند الكلب إثر تعرضه للداء أو استقرار العلة في البطن والرئة⁶⁰.

وارتكزت العملية الجراحية المستخدمة على شكلين هما الجراحة البسيطة والمركبة، والمراد بالبسيطة هي التي لا يذهب منها شيء من جوهر العضو والمركبة ما ذهب منها شيء في ذلك، والبسيطة على نوعين أيضا فمنها ما كانت شَقًّا فقط ومنها ما لها على ذلك، فما كان منها شقا وكانت طرية بدمها فعلاجها ضم شقي الجرح بعضهما إلى بعض من غير أن يقع بينهما شيء، وإن كان للجراحة يومان أو ثلاثة فلم تتقيح فعند ذلك ينبغي حك الشفتين-جانبى الجراحة-حتى يدميهما ثم يجمع بينهما بغرض إلتآم الجرح⁶¹، وذكر ابن قدامة مسألة مفادها إن غَصَبَ أحد خيطا فخاط به جرح حيوان وخيف عليه من قلعه فهل عليه قيمته إلا أن يكون الحيوان مأكولا للغاصب أو يلزم رده أو يذبح؟ وذكر خياطة جرح حيوان لا حرمة له كالمُرْتَدِ والخنزير والكلب العقور فيجب رده، أو خياطة جسم حيوان مُحْتَرَمٍ لا يجوز أكله كالآدمي فإن خيف من نزعه الهلاك أو إبطاء برئه فلا يجب نزعه⁶². بالإضافة إلى صناعة الأدوات الخاصة بالدواء⁶³ والعقار⁶⁴ واستخدام بعضها في تطبيق حالات العلة المستقرة على المستوى الخارجي للجسم كما هو الشأن في استخدام الخِرْقَةِ كوسيلة لطلاء الطين في حالات الحُمَّى الموجودة على مستوى الجلد لدى الإبل نتيجة تغذيتها بالنبات النَّدِي⁶⁵.

4. أنواع الطب

1.4. الطب الخارجي

ورد في العديد من المصادر بعض الطرق التطبيقية المعتمدة في حالات العلة المستقرة على المستوى

الخارجي للجسم حسب ما وضعه ابن منظور في حديثه عن دواء الرُّقُوف المستخدم على المستوى الخارجي للجسم إثر التعرض للجروح بغرض إيقاف نزيف الدم⁶⁶، واستخدام التعريق مع الفرس باعتصار ماء بدنه حتى يَذْهَبَ رِهْلُهُ وَيَكْتَنِرَ لَحْمُهُ، وهذه الطريقة لم تعمل على جعل جسم الفرس هزيلًا بل عملت على تقليل كمية الشحم فيه، كما استخدمت في حالة حَقْل الإبل أو الفرس أي إصابتها بالوجع في البطن إثر تناولها للتراب العالق به حيث توضع أَكْسِيَّةٌ على الدابة حتى تعرق وتسهل عليها عملية الإخراج⁶⁷، وذكر لجوء الإنسان إلى استخدام النَّحْر في حالة عدم نجاعة التطبيب المستخدم لإعادة الجسم إلى حالته السليمة وقد اعتمدت في حالة الهزال الشديد اللاحق بالدواب، وذكر أن الدواب عندما تكون سمينية تحسن في عين صاحبها فيُشْفَقُ أن ينحرها ويصبح السَّمْنُ بذلك سلاحا لها رفع عنها النَّحْر⁶⁸.

كما بيّن ابن السيد بعض حالات العلة المستقرة على المستوى الخارجي للجسم، بقوله: "الأميّهة هي جُدري الغنم"⁶⁹، وما أورده ابن منظور حول حالة إلتواء الدَنْبِ كالعقدة عند الشاة والذئب والكلب وحالة النَّمْلَةِ وهي شَقٌّ يكون في حافر الدابة خِلقة، ووضح استقرار الأورام في أجزاء مختلفة من الجسم في حديثه عن الورم في قوائم الفرس يكون في أَظْفَر الحافر، والحُمُرَةُ التي تغلوا وجه البعير أو الناقة فيقال له بعير أَكْلَفٌ وناقة كَأَفَاءٌ، وحالة التَّوَسُّفُ وهو تَقَشُّرُ يُسْقِطُ الوَبَر والشَّعْر عن الجلد، وتحدث أيضا عن حالة السرطان في رُسْغ الدواب وحالة اليُبُسِ وحالة انقلاب الحافر وحالة القَسَطِ في البعير⁷⁰، وحالة الجرب عند البعير حيث يُرى في جلده تَقَوُّبٌ من الوَبَر وهو عند الظيلم إصابة جلده بالداء فيسقط ريشه⁷¹.

2.4. الطب الداخلي

ذكرت بعض المصادر استخدام الإنسان للعديد من الطرق والأدوية بغرض تطبيب حالات العلة المستقرة على المستوى الداخلي للجسم من ممارسة للجراحة حسب حديث ابن السيد عن خضوع الفرس للعملية الجراحية نتيجة استقرار علة الداء في جسمه حيث قام الإنسان بقطع عضو العِرْقِ بغرض حصول الشفاء⁷².

وذكر ابن منظور استخدام العديد من العمليات لتطبيب حالات العلة المستقرة على المستوى الداخلي للجسم كما هو شأن عملية النَّقَبِ المستخدمة بواسطة أداة المنقَبِ لِنَقَبِ بطن الدابة في سُرْتِها حتى يسيل منها ماء أصفر كان يُؤذيها، وعملية القَدَح وهو نَقَب عضو العين بغرض تطبيب الماء الأسود الذي ألحق الضرر بها، وعملية النَقَر في الحافر بغرض استخراج ما دخل فيه، كما ذكر استخدام الجراحة في حالات صعوبة الولادة الطبيعية عند إناث الدواب نتيجة مرضها أو تأثرها بالظواهر الطبيعية المختلفة كظاهرة الجذب التي نتج عنها عدم قدرة الدواب على المشي-عُرف بالإمجار-أو عظم بطونها وهزالها الأمر الذي دفع بالإنسان إلى استخدام العملية الجراحية من خلال شق عضو البطن واستخراج ما فيه لتربيته كما استخدمت في قطع العِرْق عند الإصابة بداء الخُمَال⁷³، وأضاف ابن السيد حالات العلة المستقرة على المستوى الداخلي للجسم بقوله عن انتفاخ العَصَبِ عند الخيل، والورم في الخِصيتين والتشقُّق واليُبُس الحاصل في الرُسْغ والتصاق الرئة بالجانب، والتصاق الطِّحال بالجانب عند الإبل⁷⁴، وهذا ما وضعه ابن منظور في حديثه عن ضعف البصر اللاحق

بعضو العين لدى النوق-الإبل-⁷⁵، وورم النحر والأرماغ عند البعير وهو ما عُرف باسم النُّوطة، وتغير لون الشاة لورم في ضرعها-مخارج اللبن وقيل بأنها الأحاليل والأخلاف وهي خُروق اللبن-، والورم في حياء الناقة كالثؤلول يمنعها اللقاح وهو ما عُرف باسم العَجَن، والورم في حلق الإبل وهو ما عرف باسم الضّواة وقيل هو ورم أصاب البعير في رأسه وغَلَبَ على عَيْنَيْهِ⁷⁶، كما ذكر حالات تجاوز استقرارها أكثر من موضع بالجسم في حديثه عن حالة الثؤلُ لدى الغنم والمستقرة في موضعين هما الظهر والرأس، وحالة الورم في الضرع وحالة الإمغاء وهو داء أصاب الشاة على شكل وجع في البطن كُلَّمَا حَمَلَتْ وَلَدًا أَلْقَتْهُ⁷⁷، وقوله عن التَّهْيُجِ اللاحق بعضو الجلد على هيئة ورم، وقيل بأنه ورم في الضرع أدى إلى خروج الدم مع اللبن، وقيل بأنه ورم في الحياء من الضَبْعَةِ⁷⁸.

خاتمة

مصادر طب الحيوان في بلاد المغرب ارتبطت بمعلومات متواجدة ضمن مؤلفات تاريخية مغربية ومشرقية ساهمت عبر فترات مختلفة في تنوع المعلومات الخاصة بمسببات العلة المستقرة بأجسام هذه المجتمعات من جانب وتنوع الطب الإنساني بين طب خارجي عام وطب داخلي مختص من جانب آخر، كما أظهرت الجوانب المختلفة لطرق التطبيب المعتمدة خلال تلك الفترات.

الخطوة الأولى للتطبيب الجيد تقوم على معرفة المسببات المختلفة والظروف المؤدية إلى حدوث التغيرات السلبية اللاحقة بالجسم بغرض تطبيق التطبيب الصحيح بالطرق الصحيحة.

عمدت المجتمعات الحيوانية على اختلافها إلى استخدام طرق وممارسات شتى بغرض استعادة الحالة الطبيعية لأجسامها بغرض تحقيق البقاء، البقاء الذي ساهم فيه الإنسان بطرق تطبيقية قامت على أسس نباتية وحيوانية ومعنوية.

شمل التدوين حول المجتمعات الحيوانية المتواجدة ببلاد المغرب على اشتراك وتكامل المؤلفات المغربية والمشرقية بغرض الوصول إلى المعلومة الصحيحة.

شارت المصادر على اختلاف مجالاتها في التدوين إلى فعالية الملاحظة والتجربة التي أنتجت عقاير وأدوية في ظل أوضاع متواضعة مقارنة بالتطور الحاصل لدينا اليوم، وإلى اليوم فإن دراسة هذه المؤلفات تؤكد دقة ومصداقية هذه الأدوية وفعاليتها على مختلف المجتمعات خاصة المجتمعات الحيوانية منها.

معظم الجوانب الحياتية الخاصة بالإنسان تم التطرق إليها ودرستها لكن تاريخ المجتمعات الأخرى بما فيها المجتمعات الحيوانية وعلاقاتها بغيرها مازالت مبهمة وفي حاجة إلى ملاحظتها والتدوين حولها حتى تكتمل الدورة الكونية للحياة على أراضي بلاد المغرب في العصر الوسيط.

من مقترحات الموضوع تجربة وتطبيق طرق التطبيب الواردة في المؤلفات التاريخية السابقة على المجتمعات الحالية بهدف التأكد من فعاليتها من جانب واعتمادها في الطب الحديث من جانب آخر كَوْن المجتمعات الحيوانية الحالية مكملة للأجيال السابقة وحاملة لنفس صفاتها ومعلوماتها الوراثية.

1. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م، ج 1، ص 257، 336، ج 3، ص 537. ابن حوقل أبي القاسم محمد: المسالك والممالك، تحقيق: محمد احوقلي، مطبع بريل، مدينة ليدن، 1872م، ص 41. أنظر: مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار "وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب"، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ص 194، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص 221، وأبو الفدا: تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص 122.
2. ابن حوقل: المصدر السابق، ص 41. أنظر: اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ص 180.
3. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: معروف ومحمود بشار العواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م، ج1، ص 257، 336، ج 3، ص 537.
4. ابن أبي زرع: الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 67.
5. المصدر نفسه، ص 29، 274، 412، 413، 414.
6. المصدر نفسه، ص 102، 101، 100، 98، 116، 117، 274، 412، 413.
7. مجهول: المصدر السابق، ص 181، 177، 226.
8. الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمه: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج 1، ص 73، 74، 75، 140.
9. مجهول: المصدر السابق، ص 216، 181.
10. ابن الأثير عز الدين أبي الحسن: الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987م، ج 6، ص 290.
11. الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ج 1، ص 28.
12. الدباغ أبو زيد عبد الرحمان: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، مصر، مكتبة المانجي، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ج 2، ص 60، 286، ج 3، ص 127، 151.
13. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 67.
14. المصدر نفسه، ص 67.
15. أبو عبد الله اليمني: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ج 5، ص 228.
16. البرزلي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2002م، ج 5، ص 228، 381، 382.
17. ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، ط 1، دار إحياء العلوم، لبنان، 1987م، ص 673، 689.
18. مجهول: المصدر السابق، ص 168، 222.
19. الإدريسي أبي عبد الله بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الآفاق الدينية، 2002م، ص 103.
20. المصدر نفسه، ص 23، 232، 241، 247، 257، 259، 296.
21. مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 161، 191، 192، 212.
22. ابن القيم الجوزية: الطب النبوي، دار الفكر، بيروت، 1986، ج 2، ص 6، 59.
23. العمري ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م، ج 22، ص 140 - 232.

- 24.الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 60.
25. ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 2001 م، دار الفكر، لبنان، ج 1، ص 149.
- 26.البخاري: صحيح البخاري، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2002 م، ص 354.
- 27.الجاحظ: هو أبي عثمان عمر بن الجاحظ (150-255 هـ) اجتمع بالعديد من العلماء الذين استقروا ببلاد المغرب أمثال إبراهيم بن محمد الشيباني من أهل بغداد وسكن القيروان، لقي الجاحظ والمبرد وابن قتيبة، ومن الشعراء لقي ابن الجهم والبُحْثري وغيرهم وهو الذي أدخل إلى إفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائق أخبارهم، له كتب متنوعة منها كتاب سبويه ولقيط المرجان وسراج الهدى في القرآن، جال في البلدان من خراسان إلى الأندلس ودخل القيروان وتوفي بها سنة 298 هـ. ابن الأبار، أبي عبد الله محمد: التكملة لكتاب الصلة، دار الفكر، لبنان، 1995م، ج 1، ص 147.
- 28.الجاحظ: الحيوان، ط 2، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، -1965م، ج 2، ص 212.
29. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 519.
30. ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، ج 2، ص 4، 5، 17.
31. ابن رشد: الكليات في الطب، معهد الجنرال فرانكو، لجنة الأبحاث العربية الإسبانية، المغرب، 1939 م، ص 285-296، 344، 345.
32. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مجلد 1، ص 134، مجلد 2، ص 327، مجلد 3، ص 82، 469، 470، مجلد 4، ص 16، 70، 479، مجلد 5، ص 70، مجلد 6، ص 315، مجلد 13، ص 82، 148.
33. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 151، 246.
- 34.العمرى: المصدر السابق، ج 20، ص 49، 80، 99، 100.
- 35.جان شارل سونيان: تاريخ الطب، ترجمة: إبراهيم البجلاتي، مطابع السياسة، الكويت، 2002 م، ص 19.
- 36.العمرى: المصدر السابق.
37. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 5، ص 336، مجلد 6، ص 316.
- 38.النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1424هـ-2004 م، ص 110.
110. ابن فضل الله العمرى، المصدر السابق، ج 20، ص 96.
- 39.العمرى: المصدر السابق، ج 20، ص 51.
- 40.المصدر نفسه، ج 20، ص 47، 51، 68، 79، 80، 95، 96، 104، 105، 109.
41. المصدر نفسه، ج 20، ص 49، 62، 63، 80، 104، 107، 144، 137.
- 42.الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص 217. ابن السيد أبي الحسن علي: المخصص، دار الكتب العلمية، لبنان، السفر السابع، ص 164، 166. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 1، ص 183، مجلد 2، ص 390، مجلد 5، ص 123، مجلد 9، ص 177، مجلد 11، ص 633.
- 43.مجهول: المصدر السابق، ص 202.
44. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 5، ص 364، مجلد 11، ص 505، مجلد 13، ص 171. ابن السيد: المصدر السابق، السفر السابع، ص 87. مجهول: المصدر السابق، ص 175.
45. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 3، ص 227.
- 46.العمرى: المصدر السابق، ج 22، ص 208، 209، 210، 211، 212، 213.
- 47.ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 4، ص 15، 491.

48. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 1، ص 117، مجلد 4، ص 491، مجلد 8، ص 255، 262، مجلد 9، ص 255، مجلد 14، ص 102، مجلد 14، ص 279، مجلد 15، ص 102.
49. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 4، ص 7، مجلد 6، ص 364، مجلد 8، ص 262، مجلد 9، ص 255، مجلد 14، ص 102.
50. ابن حوقل: المصدر السابق، ص 69. كما ذكر الوزير الإثمد وقال بأنه حجر يخالطه الرصاص في جسمه، كما عُرف بحجر الكحل الأسود وهو ثقيل براق كحلي مُدَمَّلٌ للقروحات وحرروق النار ومفيد لأمراض العين. الغساني الوزير أبو القاسم بن محمد: حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985م، ص 37.
51. الإدريسي: المصدر السابق، ص 232، 237، 241، 281، 296.
52. مجهول: المصدر السابق، ص 132.
53. البعقوبي: المصدر السابق، ص 188.
54. ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 345.
55. المقدسي: المصدر السابق، ص 230.
56. الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 60.
57. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 15، ص 235، مجلد 2، ص 326، 572، مجلد 5، ص 244، مجلد 9، ص 304، مجلد 3، ص 292، مجلد 10، ص 64، مجلد 4، ص 45، 221، 231، مجلد 5، ص 415، مجلد 12، ص 85، مجلد 15، ص 217.
58. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 2، ص 572، مجلد 5، ص 244، مجلد 9، ص 304، مجلد 10، ص 64. ابن القف: العدة في الجراحة، دائرة المعارف، حيدر آباد، (د.ت)، ص 90، 91.
59. ابن القيم: المصدر السابق، ص 49، 50.
60. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 3، ص 292، مجلد 10، ص 64، مجلد 4، ص 45، 221، 231، مجلد 5، ص 415، مجلد 12، ص 85، مجلد 15، ص 217، ابن السيد: المصدر السابق، السفر 8، ص 82.
61. المقدسي ابن قدامة: المُقَنِّع، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، 1995 م، ج 14، ص 154.
62. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 4، ص 45، 221، 231.
63. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 1، ص 88، مجلد 2، ص 256، مجلد 9، ص 182، مجلد 2، ص 191، مجلد 2، ص 571، مجلد 3، ص 265.
64. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 4، ص 15، 491، 599. أنظر أيضا: مجلد 1، ص 183، مجلد 2، ص 390، مجلد 3، ص 227، مجلد 5، ص 123، 364، مجلد 9، ص 217، مجلد 11، ص 505، مجهول: المصدر السابق، ص 175، ابن السيد: المصدر السابق، السفر 7، ص 164، 166.
65. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 12، ص 155، 627.
66. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 1، ص 88، مجلد 2، ص 256، مجلد 9، ص 182.
67. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 1، ص 117، 656، مجلد 11، ص 161، مجلد 14، ص 279. أنظر أيضا ابن السيد: المصدر السابق، السفر السابع، ص 172.
68. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 2، ص 152، 487، مجلد 3، ص 554، مجلد 4، ص 271.
69. ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، ص 49، 50. ابن منظور، نفسه، مجلد 2، ص 572، مجلد 5، ص 244، مجلد 9، ص 304، مجلد 10، ص 64، مجلد 15، ص 235.
70. ابن السيد: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 19.

زكية بن عمارة

71. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 3، ص 297، مجلد 3، ص 364، مجلد 6، ص 77، مجلد 9، ص 307، 356، مجلد 7، ص 314، 378. ابن السيد: المصدر السابق، ص 163.
72. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 1، ص 692، مجلد 3، ص 25.
73. ابن السيد: المصدر السابق، السفر السادس، ص 164، السفر الثامن، ص 19.
74. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 1، ص 766، مجلد 11، ص 222.
75. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 7، ص 281.
76. ابن منظور: المصدر السابق، مجلد 5، ص 227، مجلد 7، ص 420، مجلد 11، ص 155، مجلد 13، ص 278، مجلد 14، ص 490.
77. ابن منظور: المصدر نفسه، مجلد 11، ص 95.
78. ابن السيد: المصدر السابق، السفر السابع، ص 167.